وأكثر زياراته كانت على طريق الخفاء مريداً به التعبد والانزواء عن الضوضاء والجلبة ، ونحن بغاية الممنونية نلقي طلب احياء هذا الرباط وتجديد معهده على عتبة الابواب السلطانية والمراحم الملكية المحمدية لافتين نظرها الشريف الى بقعة اثرية جالت فيها يد الهدم والتخريب ومسجد اشرف على السقوط أو كاد بعد أن هبا البنيان وطوي بساط المدينة واندثر ولم يبق لها من أثر ، وسنعيد مرة اخرى الكرة الى هذا الموضوع بابسط من هذا ان شاء الله .

عبد الحي الكتاني

مراكش الحمراء

(بقية المنشور على صحيفة ٧)

وبعد انقراض الملوك السعديين قام بأمر المغرب بعدهم ساداتنا الاشراف العلويون قدس الله ارواحهم فاتخذ جلالة جدهم الاعلى السلطان الاعظم مولانا اسماعيل مكناسة الزيتون دار ملكه وبقيت كذلك سائر مدته ومدة اولاده الى ان جاء السلطان المرحوم سيدي محمد بن عبد الله الى مراكش واتخذها عاصمة ملكه وباستقراره بها سكنت الاضطرابات والفتن التي دامت في الغرب مدة ثلاثين سنة أي من وفاة السلطان المولى اسماعيل سنة ١١٣٩ هـ الى سنة ١١٧١ هـ التي بويع فيها بمراكش للسلطان سيدي محمد بن عبد الله فاعتنى بها أيما اعتناء وجدد قصبتها التي لم يبق بها الا القليل من آثار الموحدين والسعديين وبنى بها قصره العظيم المسمى الآن عرصة النيل وبنى المسجد الاعظم المجاور للقصر المسمى مسجد بريمة واحيا بستان اكدال وجلب المياه الكافية لسقيه وأتم سوره وادار سوراً بالقصبة وافردها عن المدينة وامر كبار قواده واعيان حاشيته ببناء دورهم بها الى ان صارت مدينة مستقلة ومن رأى قصور دار المخزن بمراكش علم مقدار اهتمام هذا الملك العظيم بهذه المدينة وزيادة على ذلك جدد ضريح الشيخ أبي العباس السبتي ومسجده ومدرسته وضريح الشيخ التباع ومسجده وضريح الشيخ الجزولي ومسجده وضريح الشيخ الغزواني ومسجده وضريح الشيخ ابن صالح ومسجده وضريح المولى علي الشريف ومسجده الاعظم وضريح الشيخ ميمون الصحراوي ومسجد الملوك ببريمة ومدرستيه وجدد جامع المنصور والمسجد الاعظم بباب دكالة والمسجد الاعظم بالرحبة ومساجد القصبة ومدارسها الست ، وتولى بعده ولده السلطان العالم مولانا سليمان فاصلح قصور ابيه وزاد فيها وزاد في عمارة القصبة وجدد المسجد الاعظم الذي اسسه علي بن يوسف بن تاشفين وبنى منارته التي عليها مدار المدينة في التوقيت وبنى قنطرة وادي تانسيفت بعد سقوطها وبقي مهتما بامور مراكش الى ان توفي واقبر بها بضريح جده المولى علي الشريف وفيها عهد بالملك لابن اخيه المولى عبد الرحمان بن هشام فبنى مسجد الوسطى وجدد جامع المنصور بالقصبة ومسجد الكتبية وجامع حارة الصورة وجامع القنارية وجاء بعده ولده السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان فزاد في غرس اكدال وجر اليه المياه الكافية ووسع بركه حتى صار اكثر مما كان وجدد قصوره وأنشأ بستان المنارة المشهور بانشراحه وجمال قبته وكبر صهريجه رحمه الله ومن شاء استيعاب ما لهذا الملك من الآثار الحسنة فليراجع كتاب الجيش للفقيه أبي عبد الله اكنسوس المراكشي فقد أبدأ وأعاد .

واسس السلطان المقدس مولانا الحسن قصره المسمى بالدار البيضاء باكدال وجدد غيره من القصور ثم في عصر السلطان المرحوم مولانا يوسف ونجله جلالة ملكنا الحالي المنصور المؤيد سيدي محمد بن يوسف ازدادت عاصمة الجنوب ازدهاء وازدهاراً على سائر العصور بفضل اهتمام صاحب الجلالة باقتفاء اثر اسلافه وبوجود الانظمة العصرية التي ادخلتها الى جميع بلاد المغرب الاقصى الدولة الحامية الفرنساوية ونالت مراكش الحمراء منها حظاً وافرا ففي هذا العصر جدد جل الآثار التي خلفها المتقدمون ونظمت امور الاحباس وتحسنت املاكها وارتفعت ايراداتها من بضعة آلاف الى ملايين ووقع الاصلاح والتجديد في جميع المساجد وبالاخص الكبيرة منها المعدة لخطبة الجمعة البالغة اربعة وعشرين وكذا الصغيرة وانيرت مع مناراتها بالاضواء الكهربائية واصلحت عيون المياه الداخلة للمدينة حتى صار الماء لا ينقطع حتى في فصل الصيف الذي كان يقل فيه عادة فيها مضى وادخل ماء آخر جديد من ناحية وريكة في قنوات من حديد بعد تصفيته وتنقيته وقد وزعت انابيبه في غالب احياء المدينة وسيعم باقيها ووقع الاعتناء

بتنظيف الازقة ليلا ونهاراً وتعبيدها وترفيتها وانشئت مدارس لتهذيب النشء وتثقيف الافكار وانشئت مستشفيات عظيمة يأوي اليها كل سنة ما بين زائر ومقيم ما يعد بعشرات الالوف ونظمت المحاكم وتحسنت الطرق وسهلت المواصلة بين مراكش وبين سائر الجهات وتعددت الفنادق العصرية والمطاعم لنزول السواح الاجانب الذين يأتون بكثرة ويحصل من اتيانهم كبير النفع بترويج الصنائع والمتاجر والف الناس كثرة الاسفار والاستفادة المادية والادبية منها بعد ما كانوا يعانونه من المشاق وضياع الوقت في السفر على البهائم ووقع الارتياح الى حسن المعاملة بتنظيم مصلحة البريد والبرق والتلفون وبالجملة فقد شاهد الناس في هذا العصر من ضروب الاصلاح ووسائل الراحة ما جعل السنتهم رطبة في كل وقت وحين بالدعاء الصالح لصاحب الجلالة والعظمة السلطان سيدي محمد دام مجده وعلاه وبالثناء العاطر على رجال الدولة الحامية على ما يقومون به من اعانة ومساعدة للبلاد والعباد.

وبالجملة فاذا كان المتقدمون والمتأخرون اعتنوا بمراكش هذا الاعتناء واهتبلوا بها هذا الاهتبال فلكون مركزها الجغرافي جعلها في وسط المغرب بالنسبة لما كان تابعاً له من اراضي الصحراء الكبرى ولكونها ملتقى الجبل والسهل ومجتمع العرب والبربر حتى دعاها بعض اهلها خراسان المغرب نظراً لمن يقطنها من اجناس مختلفة وما يتكلم فيها من لهجات متعددة وجعلها موقعها سوقاً عاماً تقع فيه مبادلة التجارة بين العرب سكان الاراضي السهلية غرباً وشمالا كالرحامنة وحمير وعبدة والسراغنة وزمران ودكاله والشاوية وبين البرابر سكان الجبال شرقاً وجنوباً فالخارج من مراكش من باب اغمات مثلا لا تسمع اذناه الا اللغة البربرية من قبيلة مسفيوة شرقاً الى ما وراء الاطلس الكبير ومنها جنوباً الى اقاصي القطر السوسي واذا خرج الخارج من باب الخميس لا يجد اثراً للغة سوى اللغة العربية من قبيلة الرحامنة غرباً الى سواحل البحر المحيط ومنها شمالا الى اقاصي قبيلة الشاوية وباب الرباط وهذا هو ما كان يعبر عنه في الماضي بالحوز عاصمته هي مراكش مقابل القسم الثاني من المغرب المعبر عنه بالغرب وعاصمته فاس.

فالجهة الجبلية البربرية تجلب ما يختص بها الى الجهة السهلية من الزيوت والفواكه والاخشاب والجلود المدبوغة وسائر الاشياء التي لا يصلح انتاجها الا في المواضع المائية الباردة التي هي الجبال كما تصدر الجهة السهلية الى الجهة الجبلية ما يصلح انتاجه فيها من زروع وماشية وسمن وصوف وشبه ذلك ومن اراد الوقوف بدهشة على عظمة مراكش وما يصدر منها وما يرد اليها للمبادلة التجارية في اسواقها فما عليه الا ان يلازم حيناً بعد حين الاماكن التي تسافر منها سيارات النقل الى مختلف الجهات سهلا وجبلا ويرى بعين الاعتبار ساحة جامع الفنا وما يغشاه من البشر آناء الليل واطراف النهار.

والشيء الذي زاد في اهمية الحركة ورواج التجارة بمراكش هو اصلاح الطرق ونحت الجبال ونصب القناطر وسهر رجال الامن على اقراره وحفظه وقطع دابر النهب واللصوصية وايجاد الاماكن سواء بالمدينة أو بالطرق في البادية لتموين المسافرين وسياراتهم وحتى المبيت لمن اراده فأينما سار الانسان ليلاً أو نهاراً يجد قوافل السيارات ذاهبة آيبة دون وجل.

وبعد فاذا كان الكلام قد طال بالنسبة الى الصفحات التي ستشغلها هذه الكلمات فانه قد قصر جد القصر بالنسبة لما تتطلبه مدينة مراكش من ذكر الحوادث التاريخية والمنازعات بين الدول والملوك التي تعاقبت عليها وذكر من اقبر فيها من ملوك ووزراء وعلماء امثال القاضي عياض والامام القصار والامام السهيلي وامثالهم من المتقدمين والمتأخرين ومن درج على ارضها من ادباء وشعراء ومؤلفين ومن هاجر اليها وقطنها من عائلات من مختلف الجهات واسماء احوامها وعدد من يسكنها وبيان اصولهم واجناسهم وتعدد دورها ومرافقها وعادات سكانها في افراحهم واتراحهم واستيعاب كل ما من شأنه ان يفيد المتطلع الى اخبارها واستقصاء هذه الاشياء وتتبعها يحتاج الى مجلدات ضخمة واما هذا المقال القصير ان هو الا كلمات تذكارية ليس غير لمناسبة مرور تسعة قرون على تأسيس هذه المدينة.

أحمد بوستة

العلم قوّه

يا رسول الله انا امة ... زجها التضليل في اعمق هوّه
ذلك الجهل الذي حاربته ... لم يزل يظهر للشرق عتوّه
قل لاتباعك صلوا وادرسوا ... انما الدين هدى والعلم قوّه

فرحات